

المحاضرة الرابعة عشر

Ancient Chinese Civilization

الحضارة الصينية القديمة:

من المرجح ان الحضارة الصينية (حضارة الشرق الأقصى) من الحضارات الاصلية التي نشأت من الأطوار البدائية في العصر الحجري الحديث ، وبلغت طور نضجها في وادي النهر الأصفر منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وظهرت منها سلالات حاكمة منذ ذلك التاريخ ، وكانت البيئة الطبيعية التي ظهرت فيها الحضارة الصينية بيئة قاسية حيث كانت الأهوار والأحراش والفيضانات تعم وادي النهر الأصفر (هوانغ هو) وقد حول الانسان هذه البيئة الى مهد الحضارة الصينية ، وامتازت هذه البيئة أيضاً بتغيير متطرف من الحر والبرد في الفصول المختلفة . وبلاد الصين بوجه عام أعظم اقليم جغرافي في قارة آسيا ويحيط بها المحيطات من الشرق والجنوب الشرقي ، كما يحده أعلى الجبال وأوسع الصحارى في العالم (صحراء كوبي) مما جعلها تتميز بالعزلة والثبات . وتشير بقايا الانسان القديم في الصين المعروف باسم انسان (بيكين) الى أقدم استيطان الانسان في العصور الحجري القديمة في الصين.

ومما يُعتقد ان انقلاب العصر الحجري المتأخر قد حدث في الصين (٣٠٠٠ ق.م) حيث عُرفت زراعة الحبوب ولا سيما الأرز وتدجين الحيوانات ولا سيما الخنزير والبقر، وظهرت من هذه البداية بعد أزمان حضارة الصين الناضجة والسلالات الحاكمة فيها في القرن (١٨ ق.م). وأول سلالة عُرفت أخبارها التاريخية هي سلالة (شانغ) التي حكمت في أولى المدن التي ظهرت في الصين وهي (آنهانغ) . وقد عرفت حضارة الصين العديد من مقومات الحضارة منها فن التعدين مثل صناعة البرونز ودولاب الخزاف والكتابة الصينية واستعملت العربات التي تجرها الخيول في الحرب ، وقد اعتمد الصينيون في مواردهم الاقتصادية على الأرز وصناعة الحرير، وحافظت هذه الحضارة على مآثرها وتقاليدها الأساسية أكثر من ٤٠٠٠ آلاف عام . وكانت ديانتها

القديمة تدور حول عبادة القوى الطبيعية مثل الجو والسماء والأجرام السماوية والرياح والأمطار وغير ذلك مما له الأثر في الحياة الزراعية ، كما قدسوا (التنين) رمز الامبراطورية المقدس الذي كان من العناصر المهمة في الفن الصيني ولعل أصله يعود الى نوع التماسيح التي كانت تملأ أنهار الصين وصارت حيوانات مقدسة تعبد . وامتازت الحضارة الصينية القديمة بالروح الاجتماعية وان العائلة كانت الوحدة الأساسية في بناء المجتمع ، وكانت عادات الأجداد وعرفهم هي الشريعة والقانون المتبع في المحافظة على تماسك المجتمع . وتثبت النظام الاجتماعي وتبلور في عهد سلالة (شو) التي أعقبت سلالة (شانغ) وكان لتعاليم (كونفوشيوس) أثر بالغ في توطيد النظام الاجتماعي في الصين . وقد وصفت (الكونف وشيوسية) على انها ديانة ، والواقع انها لم تكن ديانة صرفة ولا فلسفة صرفة بل كانت أقرب ماتكون الى النظام الاجتماعي والأخلاقي الذي كان يرمي الى تثبيت المجتمع بتنظيم علاقاته الاجتماعية بموجب أعراف وقواعد قاسية . كما ظهرت الديانة (التائوية) نسبة الى (تاو) وهو المبدأ الأعظم الذي يمثل الطبيعة أو قوى الطبيعة ونواميسها وسيرها ، وتنسب هذه الديانة الى أحد حكماء الصين ، وبينما كانت مبادئ الفلاسفة تنتشر في الصين غزا البلاد جماعة كبيرة من قبائل النتر الذين أسسوا سلالة حاكمة قوية أنشأت امبراطورية امتازت بالحكومة المركزية، وأقامت هذه السلالة (سور الصين العظيم) لصد القبائل البربرية من جهة الشمال (وهي قبائل بدوية عديدة ومتشابهة في أصلها ولغتها وسموا بموجات متعاقبة مثل اليون والمغول والترك والنتر) . والجدير بالذكر ان اسم (الصين) مشتق من اسم هذه السلالة .

ثم غلب هذه السلالة جماعة من أتباع (كونفوشيوس) وهم (اليون) الذين أسسوا سلالة تعرف باسمهم ، وقد وسعت هذه السلالة من فتوح الصين غرباً لحماية البلاد من برابرة أواسط آسيا وللمحافظة على طرق التجارة المهمة التي كانت تنقل بها تجارة الصين ومنها حرير الصين المشهور، الى أقاليم الامبراطورية الرومانية غرباً . ودخلت الى الصين في هذا العهد الديانة (البوذية) من الهند حيث التقت الثقافتان الهندية والصينية وكانت هذه الديانة عاملاً محفزاً على بث روح جديدة في الفن والنحت والتصوير .

أعقب هذه السلالة سلالات أخرى منها سلالة (المغول) التي أسسها (جنكيز خان) وابنه (قوبلاي خان) . وقد امتاز تاريخ الصين القديم بكثرة السجلات التاريخية التي خلفها لنا المؤرخون الصينيون القدماء الذين اهتموا بتدوين كل ما اعتقدوا بحدوثه ، ويشبه هؤلاء المؤرخون مؤلفي أساطير الخليفة في الحضارات القديمة بأنهم دونوا تاريخ الصين منذ الخليفة.

حضارة الازتيك :

دولة الازتيك أسسها الازتيك وهم من شعوب الأمريكيتين الأصليين ، وقد سيطروا على معظم ما يعرف اليوم بالمكسيك وغزا دولتهم فيما بعد الاسبان . وقد قام الازتيك ببناء المدن الكبيرة ونظموا البنى الاجتماعية والسياسية والدينية ، ومن أبرز مخلفاتهم القصر الملكي والعديد من القنوات والمعابد الضخمة التي تشبه الاهرامات وفوق قممها المعابد التي يقدم بها القرابين البشرية للآلهة ، وكانوا يعبدون آلهة تمثل قوى الطبيعة التي لها تأثيرها على الاقتصاد الزراعي حسب اعتقادهم فعبدوا اله الشمس واله المطر واله الرياح ، وكان الازتيك يعتقدون ان الالهة الخيرة والنافعة لا بد ان تظل قوية لتمنع الالهة الشريرة من تدمير العالم لهذا السبب فقد كانوا يقدمون الأضاحي البشرية وكان معظمهم من أسرى الحرب ، وكانت طقوس التضحية في مواعيد معينة لتحديد وقت خاص لإضحية كل اله وكانت التضحية تصعد لقمة الهرم حيث الكاهن يتواجد ليقوم بالتضحية ، وكان الكهنة يضمنون أنهم ينالون رضا الآلهة بالصوم أو جرح أنفسهم ، وهناك من الكهنة من يدير مدارس لتعليم الكهنوت للأطفال الذين سيصبحون كهنة ، ومن الأعمال الأخرى التي يقوم بها الكهنة تحديد الأيام السعيدة لشن الحرب أو القيام بأعمال معينة ، وكان هناك أيام مقدسة تكرم بها الآلهة حسب التقويم الشمسي .

أما اقتصادها فقد طوروا نظام الري واستعملوا الأسمدة وصنعوا الفخار والسلال وكانت المرأة تطحن بالرحايا الحجرية ولم يعرفوا العملات المعدنية بل كانوا يستعملون حبات الكاكاو والملابس القطنية في البيع والشراء ، ولم يكن لديهم عربات على العجلات ولا

حيوانات للجر بل كان الحمالين يسيرون في قوافل وأمامهم التجار ويحرسهم المسلحون وكانوا يستعملون قوارب صغيرة من جذوع الأشجار المحفور التي يحملون بها بضائعهم . أما الفن لدى الازتيك فقد كان يتخذ طابعاً دينياً أو حربياً ، فقد كان الفن ذو مفهوم ديني ويُستعمل في الرسوم الألوان الفاقعة ، وكانت الرسومات فوق الجدران أو فوق لحاء الشجر ويصور مراسم الاحتفالات الدينية وصور الالهة كما مارسوا فن النحت اذ نقشوا معبوداتهم بالنحت الغائر أو البارز، كما نحتوا الأشخاص والحيوانات بشكل تماثيل صغيرة من أنواع مختلفة من الأحجار. وقد استعملوا آلات بسيطة للعمل بها وكانت لديهم مهارة بالأعمال اليدوية فكانت المرأة تغزل الياق النباتات بمغازل من العصي وقرص المغزل من الطين المجفف وكن يصبغن الخيوط بألوان ازهية لينسجنها مآزر وقبعات وملابس فضفاضة للرجال وستر لها أكمام وتتوارت طويلة للمرأة بتصاممهم وأشكال هندسية مميزة ، وكان الصناع يصنعون من الريش غطاء للراس وكانوا يصنعون الفخار برص طبقات من شرائح الطين فوق بعضها لصنع قذور للتخزين والكؤوس وكانت تفخر في أفران مفتوحة وهي ذات لون أحمر وأبيض رُسم عليها بدقة تصاميم هندسية ، ولم يكن لدى الازتيك الحديد أو البرونز لهذا صنعت آلات تقطيعهم وفؤوسهم من الحجر أو النحاس ، والمثاقيب من العظام ، وكانوا يصنعون الحلي من الذهب والفضة والنحاس والزمرد والياقوت .

حضارة المايا:

يرجع أصول شعب المايا الى اليهود الحمر الامريكيين الذين ساهموا في بناء حضارة في امريكا الوسطى، ولم تكن امبراطورية واحدة وانما كانت تتكون من العديد من الدول الصغيرة التي يحكمها الملوك وتجمعها ثقافة مشتركة ، نمت حضارتهم وتطورت مستقلة عن بقية الحضارات التي عاصروها بسبب موقعها الجغرافي جنوب شرق المكسيك وشمال امريكا الوسطى، وساعدت السيول والمرتفعات فيها على وجود الزراعة والتجارة والأراضي المنخفضة استخدمت كطرق لمنقل ، وزرعت فيها

المحاصيل المنتجة التي تستخدم للاستهلاك الشخصي كالذرة والفاصوليا والكاكاو اضافة للقطن وبعض النباتات التي صنعت منها الأقمشة والحبال وغيرها من المحاصيل، أما المرتفعات البركانية فكانت مصدر للزجاج البركاني الأسود والمعادن الثمينة ، وقد قاموا بتأسيس القرى الاولى وعرفوا الزراعة وتدجين الحيوانات خلال العصر القديم ثم قاموا ببناء المدن الكبيرة من الحجر ، ولا يزال المنحدرون من تلك الشعوب يتكلمون لغة المايا ويمارسون بعض من عاداتهم وتقاليدهم . أما ديانتهم فقد عبدوا آلهة متعددة كغيرهم من الشعوب ومنها الهة الذرة واله المطر واله الشمس واله كوكب الزهرة حيث كان شعب المايا يجلبون عدد من الفتيات والفتيات للتضحية بهم عند ظهور الزهرة في السماء في مناسبة معينة وحسب اعتقادهم بأن هذه الأضاحي البشرية كانت بطلب من الاله ليجنب حضارتهم من التهديدات التي تحيط بعالمهم ، أما علم الفلك فقد اتجهوا اليه لاستخدامه في التنجيم الذي آمنوا بقدرته على ازالة الأخطار المحدقة بهم أو الحد منها لهذا قاموا بوضع تقويمين أحدهما للاستخدام المدني والآخر للاستخدام الديني .

أما الكتابة والتدوين فقد استخدموا رموزاً مثلت أفكاراً بكاملها أو تركيبات صوتية وهذا ما عرف من خلال المخطوطات التي استعملها الكهنة في التنجيم كما دونوا التواريخ المهمة والأحداث الكبرى في حياة حكامهم وغيرها من الأمور التي دونت على الحجر والخشب ولسوء الحظ تلف أغلبها بسبب الرطوبة .

وبالنسبة للفنون والعمارة فقد اشتهرت حضارة المايا بالفن المعماري الجميل المتمثل ببناء أهرامات عالية بالأحجار الكبيرة وفي أغلبها معبد صغير، وكذلك البنايات الكبيرة المزينة بالزخارف والرسوم الملونة ومن المعتقد انها كانت لسكن الكهنة في الاحتفالات المهمة ، كما انتجوا نماذج مهمة من الخزف والنحت ومنها المنحوتات الصغيرة من الطين والكبيرة من الحجر وأغلبها للآلهة .

حضارة الإنكا:

نشأت وازدهرت هذه الحضارة على مرتفعات بيرو في سلاسل جبال الأنديز ، ليس هناك معومات كافية عن الموطن الحقيقي لسكان الانكا الا من خلال ما عثر عليه علماء الآثار محفوراً على الحجر، والبنية الاجتماعية للانكا تتكون من الحاكم وعائلته وقائد الجيش هو الرئيس القادم وكهنة المعبد والمعماريين والإداريين والحرفيين والموسيقيين والسحرة والمزارعين واسر الرعي والمجندين وكانت النساء تشكل جزءاً أساسياً من المجتمع وتزوج في عمر مبكر وكانت تقوم بأعمال المنزل وتربية الأولاد والنسج والعمل في الحقول وكان يُسمح للطبقة الارستقراطية بتعدد الزوجات ، أما ديانتهم فكانت تركز على الاله الشمس ، واشتهروا بالبناء المعماري والمستوطنات والطرق الجبلية ومنصات الأضاحي ، وصنعوا ملابسهم من الصوف وفي بعض الاحتفالات الدينية ارتدوا الصنادل المصنوعة من جلد الحيوانات .

المصادر والمراجع المساعدة

- عادل نجم عبو وعبد المنعم رشاد: اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة
- لطفي عبد الوهاب يحي: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري.
- محمد ابو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الادنى القديم
- د. قحطان عبد الستار الحديثي وآخرون: دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي